من آثام العادات والتقاليد: تحليل لومضة "فوتغرافيا (1)" لعادل بكر

هيفاء حمودة، سوريا

- تحليل: ومضة قصصية للكاتب المصري: عادل بكر؛ بعنوان: فوتوغرافيا 1.

(ظلام ممتدٌ تقطعه خفقات تأتي من مصباحٍ ناءٍ، جلبابٌ وبندقية وبينهما ضحية شرف، وصباح يبتعد).

للحق؛ اجتذبني موضوع هذه الومضة القصصية، كونها تلقي الضوء على موضوع اجتماعي جاد ومهم، ما يزال سائداً في الشرق عموماً وفي العالم العربي على وجه التحديد، ألا وهو موضوع **"الشرف"**؛ ذاك الذي ارتكزت عليه هذه الومضة القصصية.

فنياً؛ تتألف هذه الومضة من **ثلاث جمل سردية**، اعتمدت في طياتها على الأجزاء البصرية، كما اشتملت على ثلاثة أفعال مضارعة، دلَّت على حركة وقعت في الحال، وهو ما أدى إلى اكتساب الحياة للحدث.

- **تبدأ الومضة** بالنكرة الموصوفة (ظلامٌ ممتد)، وهما اسمان يفسحان المجال أمام عين خيال الناظر مساحة مكانية واسعة تحيط بموقع الحدث، هذا الحدث لا تدل علية إلا خفقات آتية من مكان بعيد نوعاً ما عن رؤية الناظر المتمركز في إطار لا يستطيع إلا سماع خفقات يدل عليها ذلك المصباح البعيد. وهذا يشير فقط إلى مكان ونقطة الهدف. أما جملة (خفقات تأتي من مصباح ناءٍ) فهي كناية عن الشخص المصاب؛ أو الذي يعاني آخر سكرات الموت، والخفقات هنا تعبيرٌ عن احتضار الضحية التي تمثل الشخصية الأولى في هذه الومضة. ونتوسَّم أن هذا العمل قد تمَّ في الظلام، لأن كلمة "الظلام" أيضاً هي رمز لظلامية هذا العمل.

- **الجملة السردية الثانية:** ركزت العدسة فيها على الفاعل العائد من فعلته، وهو الشخصية الثانية (جلباب وبندقية وبينهما ضحية شرف)؛ فاللفظة **"جلباب":** وربما أول ما يتبادر للذهن أنه رجل أتى من الأرياف، مع أن المدن أيضاً لا تخلو من مثل هذه الجرائم، إنَّ هذا الرمز يدل على الأغلب على مكان الجريمة وهو مكان ريفي.. وقد يكون الفاعل آتٍ من أي مكان، وأي زمان.. من الريف أو المدينة، لأن عقليته لا تختلف بشكل كبير. وصاحب الفعلة إما الأب، أو الأخ، أو الزوج، أو حتى ابن العم، والكل يريد الأخذ بالثأر لشرفه من الأنثى، لأنه برأيهم –شرفها- مرتبطٌ بجسدها. أما

الرمز الثاني في هذه الجملة فهو **"البندقية"**، وهي الأداة التي تم فيها عمل الفعل. **والجملة الثالثة** هي **"صباحٌ يبتعد"**، وفيها دلالة مهمة جداً تتمثل بلفظة (يبتعد)، حيث نفت هذه اللفظة وجود حياة جديدة بعد هذه الليلة، وأشارت إلى أن كل شيء بعد انسحاب ذاك الظلام سيتغير إلى الأسوأ، إن الجاني الغارق في حماقته وجهله يعتقد أنه ارتاح وحرر رجولته من عار غسل سمعته، فاستعادها من خلال الجريمة.

- الشرف..

الشرف كلمة ذات دلالات ومعانٍ متعددة، فهو مفهوم يختلف من شخص إلى آخر، ومن مكان لغيره، ويختلف باختلاف الجنس؛ كالذكر أو الأنثى، إذ إنه وليد عادات وتقاليد تختلف وفقاً لتطلعات وآراء المجتمعات. وقد يرتبط هذا المفهوم بالكرامة والأخلاق والشهامة والتضحية والمروءة وغيرها من الفضائل، كما أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً في بعض المجتمعات بتصرفات المرأة وعلاقاتها الاجتماعية، كما هو الحال في المجتمعات العربية والشرقية، فالمرأة في غالبية تلك المجتمعات مقيدة بالعادات والتقاليد التي لا يحق لها أن تتجاوزها، وإلا كانت عرضة للقتل أو التشويه أو الضرب وغيره؛ خلافاً للمجتمعات الغربية، حيث لا يحق لأحد التدخل في حياتها الشخصية.

لقد ارتبط معتقد الشرف عند الرجل بالمجتمعات المذكورة بأخته أو أمه أو زوجته فقط، حتى ولو كان كاذباً أو سارقاً أو زانياً، فهفواته في كثير من الأحيان يمكن أن تغتفر، ولكن لا يمكن أن يغفر له المجتمع أخطاء أحد محارمه.

وإذا انتقلنا إلى العنوان (فوتوغرافا) لوجدنا أن الكاتب ينقل لنا صورة قاسية من مجتمعاتنا، بحيث جاءت متكاملة بأجزائها السردية، بعيداً عن عنوانها بكل أبعاده ودلالاته.